

فلسطين وشموليج المكان فلي خطاب جمعيع العلماء المسلمين الجزائريين

(خطاب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أنموذجاً)

د. بولمعالى النذير

. جامعة يحي فارس المدينة-الجزائر

ملخص:

وأنا أطلع ذات مرة عيون البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فترة من الفترات شدتني مقالات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى، والتي كان يجول بها في كل بقاع الأراضي الإسلامية، فلم يقتصر اهتمامه فيها على الداخل وبمأساة الشعب الجزائري آنذاك وما كان يعانيه من ويلات الإستعمار الفرنسي والمسح الأوربي الحاقد على مقومات هذه الأمة، وإنما كانت اهتماماته تمس كل قضايا المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا.

فهذه مقالة بعنوان: **جمعية العلماء والمغرب العربي**، وأخرى بعنوان: **ليبيا وموقعها منا**، وثالثة بعنوان: **إضراب التلاميذ الزيتونيين**، ثم يتكلم عن عروبة الشمال الإفريقي... ولم يغفل في كل هذا الزخم وهذه الظروف العصبية التي كانت تتخطب فيها الأمة العربية والإسلامية ومنطقة المغرب العربي على وجه الخصوص لم يهمل قضية المسلمين المركزية الأولى، إلا وهي القضية الفلسطينية، فها هو يكتب مقالا بعنوان: **جمعية العلماء وفلسطين**، ثم مقالا آخر بعنوان: **واجبات فلسطين على العرب**، نشرت في العدد 25 من جريدة البصائر سنة 1948م وهي السنة ذاتها التي دخل فيها اليهود فلسطين محتلين ومستعمرين لها، ثم أخرى نشرت في العدد 53 من جريدة البصائر أيضا سنة 1948 م عنوانها: **عيد الأضحى وفلسطين**.

Abstract:

When I was reading Ouyoun Elbasaer the mouthpiece of The Algerian Muslim Scholars Association, at a time when I was attracted by one of the Sheikh Mohammed Bashir Ibrahim's articles (may Allah have mercy on him), he was not only interested in the internal sufferings and problems caused by the French colonization who was

against the Algerian principles, but was also touring in all parts of the Islamic lands, and issues affecting all Muslims wherever they were.

That article entitled: (scientists Association and the Maghreb), and the other entitled: (Libya and its from location of us), and a third one entitled: (the strike of Zatonien pupils), and then he talked about the Arabism of North Africa, ...which has not been lost in all of this momentum and these difficult circumstances that were wandering in the Arab and Islamic Maghreb region of the nation, in particular, it did not neglect the central issue of Muslims: Palestine. So, he wrote an article entitled: (the scientists Association and Palestine), and another article entitled: (Arabs duties towards Palestine) published in Issue 25of Basair newspaper in 1948, the same year in which the Jews settled in Palestine and then he published in issue 53 of the same newspaper in 1948 an article entitled: ([Eid al-Adha and Palestine).

مقدمه:

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا نجاد له ولها مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير القائل في كتابه الكريم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽¹⁾، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والمبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله القائل صلى الله عليه وسلم: ﴿لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا﴾⁽²⁾، والقائل أيضا عليه الصلاة والسلام لما سأله أبا ذر الغفاري رضي الله عنه حين قال له: ﴿يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض، قال المسجد الحرام، قال: قلت ثم أي، قال: المسجد الأقصى﴾⁽³⁾، قلت: كم كان بينهما، قال: أربعون سنة...﴾⁽⁴⁾.

وأنا أطالع ذات مرة عيون البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فترة من الفترات شدتني مقالات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

¹الإسراء، آية: 01.

²أخرجه البخاري في كتاب الجمعة برقم: 1115، و برقم: 1122، مع تسبيقه صلى الله عليه وسلم للمسجد الأقصى المبارك على مسجده الشريف.

³بناه ابتداء سيدنا داوود عليه السلام ثم انهم لعدم دفع سيدنا داوود عليه السلام مقابله لأصحاب الأرض التي أقيم عليها، ثم بناه سيدنا سليمان بن داوود عليهما السلام كما وعد بذلك الله عز وجل داوود . بأن أحدا من نسله هو الذي سيبنيه . وقد دامت مدة بنائه سبع "7" سنوات وكانت بعد أربع "4" سنوات من بداية ملك سليمان عليه السلام، أنظر: ابن الجوزي. فضائل القدس. ص: 78/79.

⁴أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء برقم: 3115.

رحمه الله تعالى، والتي كان يجول بها في كل بقاع الأراضي الإسلامية، فلم يقتصر اهتمامه فيها على الداخل وبمأساة الشعب الجزائري آنذاك وما كان يعانيه من ويلات الإستعمار الفرنسي والمسخ الأوربي الحاقد على مقومات هذه الأمة، وإنما كانت اهتماماته تمس كل قضايا المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا.

فهذه مقالة بعنوان: [جمعية العلماء والمغرب العربي]، وأخرى بعنوان: [ليبيا وموقعها منا]، وثالثة بعنوان: [إضراب التلاميذ الزيتونيين]، ثم يتكلم عن عروبة الشمال الإفريقي،... ولم يغفل في كل هذا الزخم وهذه الظروف العصبية التي كانت تتخبط فيها الأمة العربية والإسلامية ومنطقة المغرب العربي على وجه الخصوص لم يهمل قضية المسلمين المركزية الأولى، إلا وهي القضية الفلسطينية، فها هو يكتب مقالا بعنوان: [جمعية العلماء وفلسطين]، ثم مقالا آخر بعنوان: [واجبات فلسطين على العرب]، نشرت في العدد 25 من جريدة البصائر سنة 1948م وهي السنة ذاتها التي دخل فيها اليهود فلسطين محتلين ومستعمرين لها، ثم أخرى نشرت في العدد 53 من جريدة البصائر أيضا سنة 1948م عنوانها: [عيد الأضحى وفلسطين].

حدود الوطن عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

إنه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله بشمولية فكره للإنسان وشمولية فكره لبلاد العروبة والإسلام وشمولية فهمه للدين الإسلامي ولمعاني الأخوة الإسلامية متمثلا في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مثل

المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى⁽¹⁾.

إنها وحدة الدين ووحدة اللسان، والتي يقول فيها الشيخ الإبراهيمي رحمه الله: "الأمة الجزائرية هي قطعة من المجموعة الإسلامية العظمى من جهة الدين وهي ثلثة من المجموعة العربية من حيث اللغة التي هي لسان ذلك الدين... فالأمة الإسلامية بهذا الدين وبهذا اللسان وحدة متماسكة الأجزاء يأبى لها الله أن تتفرق وإن كثرت فيها دواعي التفرق ويأبى لها دينها وهو دين التوحيد إلا أن تكون موحدة"⁽²⁾.

وفي نداء موجه للشعب الجزائري نشر في العدد 28 بتاريخ 22 مارس 1948م لجريدة البصائر يقول فيه: "إذا أصيبت الأمة بكارثة من كوارث الزمان ووجد فيها من يتألم لتلك الكارثة ويهتز لها فذلك دليل قوي على حيوية الأمة ورشدها ومقياسا صحيحا لتقدمها ونهوضها، وهي بذلك تقيم لأصدقائها وخصومها البراهين القاطعة على أنها خليفة بحريتها وجديرة بأن تتبوأ مكانتها بين الأمم الحرة، وأما إذا كانت الأمة غافلة عن واجبها نحو المجموع لا يفكر أفرادها إلا فيما حولهم ولا تنتظر جماعاتها إلا إلى محيطها الخاص فهي أمة غبية ليست خليفة بالاحترام ولا جديرة بما تصبو إليه من حرية"⁽³⁾.

فعلى الرغم من أن سبب هذا الخطاب كان بالأساس خاصا بما تعرضت له مدينة الشريعة بتبسة من جراء السيول والفيضانات في شهر فيفري

¹ أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب برقم: 4685

² من مقال للشيخ البشير الإبراهيمي بجريدة السنة، العدد 04 بتاريخ: 06 محرم 1352هـ/01 ماي 1933م، أنظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص: 107.

³ آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص: 45.

1948م إلا أن في كلام الشيخ الإبراهيمي بعدا وإيحاء كبيرين في النظر إلى ما يجري من حوله من أحداث، فالحدث خاص والكلام عنه فيه عموم يدركه كل ذي لب رشيد، أنها دعوة المسلمين جميعا لإعمال فكرهم في قضايا المسلمين كافة بعيدا عن النظرة الإقليمية أو المحلية فقط وعدم قصرها على قضية واحدة في النظر إليها نظرة عميقة بعيدا عن النظرة الضيقة.

لقد تحدث الشيخ الإبراهيمي عن حق فلسطين علينا في إعانتها من خلال مقال نشر بجريدة البصائر في العدد 41 للسنة الأولى من السلسلة الثانية بتاريخ 21 جوان 1948م قال فيه رحمه اله تعالى: "إعانة فلسطين فريضة مؤكدة على كل عربي وعلى كل مسلم، فمن قام به أدى ما عليه من حق لعرويته ولإسلامه ومن لم يؤده فهو دين في ذمته لا يبرأ منه إلا بأدائه، ومن سبق فله فضيلة سبق ومن تأخر شفعت له المعاذير القائمة حتى تزول، فإذا زالت تعلق الطلب ووجب البدار"⁽¹⁾.

والشيخ يرى أن الشعور عند الأمم العربية والإسلامية (يقصد بالأمم الدول) البعيدة عن فلسطين جغرافيا أو عند البلاد التي تحول بينها وبين فلسطين والشعور بها الحوائل، هذا الشعور يكون أقوى منه عند أهل البلاد القريبة منها، لأن الحرمان والبعد يذكيان الجوى والشعور، والجزائر بعيدة جغرافيا، وفي تلك الأيام كان السبب الثاني قائما وهو حائل الإستعمار الفرنسي الجاثم على صدور الجزائريين والمهيمن على حدود الديار فكانت الجزائر بعيدة الموقع، أسيرة المستدمر، وهذا ما جعل جذوة الشعور تستعر وتتقد وتصل مداها فلم تخبو، ولم يطفئها البعد الجغرافي ولا الكيد الإستدماري الفرنسي، فكانت هذه

¹ آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص:75.

هي ذخيرة الشعب الجزائري (ممثلا في جمعية العلماء المسلمين آنذاك) اتجاه القضية الفلسطينية.

موقع القضية الفلسطينية من قلب الشيخ البشير الإبراهيمي:

لقد كان رحمه الله تعالى رغم ظروف الجزائريين الصعبة، بل والمستحيلة أحيانا آنذاك يطلب منهم تقديم يد العون لفلسطين بالممكن وبالمقدور عليه وهذا رغم كيد الإستعمار الفرنسي وتضييقه الخناق على الجزائريين.

لقد كان الشيخ رحمه الله يعي جيدا دور وسائل الإعلام في إدارة الصراع في القضية الفلسطينية فأفحم جريدة البصائر لسان حال الجمعية آنذاك في خضم هذا الصراع وها هو يقول رحمة الله عليه: [كانت هذه الجريدة كتبت فصولا متتابعة في قضية فلسطين فشرحت فيها كثيرا من الخفايا وكشفت عن كثير من الخبايا وقامت عن الجزائر (أي مثلتها) بالحق الأدبي لفلسطين كاملا، وحق لهذه الصحيفة أن تفتخر بأنها شاركت أخواتها العربيات في الشرق بجهد لا يقل عن جهودهن وجهاد قلبي لا يقصر عن جهادهن]⁽¹⁾.

وكان يرى رحمه الله أن القيام بعمل جليل مشترك في هذه الديار في إعانة فلسطين يجلب الشرف للجزائر ويرفع رأسها.

كما كان يرى بأنه قد حان وقت البذل والنصرة لفلسطين وأهلها، فيقول رحمه الله: [..وصرح الاستعمار بشواهد الأقوال والأحوال أنه أخ الاستعمار

¹ آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص:76.

وناصره ومقيم قواعده، ووصلت فلسطين إلى الدرجة التي يجب فيها العون على كل عربي وعلى كل مسلم وإن بعدت الدار وتكالب الإستعمار⁽¹⁾.

لم يكتف الشيخ بهذا فقط ولكن انتقل من المستوى التحفيزي للأمة أو إن صح التعبير من المستوى النظري إلى مستوى أعلى ألا وهو مستوى العمل والتنفيذ فقام رحمه الله بتشكيل هيئة لدعم فلسطين سماها [الهيئة العليا لإعانة فلسطين] والتي كانت تتشكل من:

○ محمد البشير الإبراهيمي: رئيسا للهيئة.

○ عباس فرحات: كاتباً عاماً للهيئة.

○ الطيب العقبي: أميناً مالياً للهيئة.

○ إبراهيم بيوض: نائباً لأمين مال الهيئة.

ثم تألفت لجنة للتنفيذ والمتابعة بالجزائر العاصمة وكانت تضم الخيرة من أبناء الجزائر من رجال العلم والثقافة ورجال الأعمال والاقتصاد والشباب وبدأ العمل بإرسال برقيات تأييد ومؤازرة للفلسطينيين عن طريق الأمين العام لجامعة الدول العربية في ذلك الوقت السيد: عبد الرحمن عزام باشا، وكانت في المقابل برقيات أخرى للاحتجاج والاستنكار للحكومات والدول المسؤولة وذات الصلة بالمأساة الفلسطينية.

لقد لفت اهتمام الشيخ المتميز للقضية الفلسطينية نظر الكثيرين فقد أعجب بكتابات الشيخ البشير الإبراهيمي التي كانت تصدر تباعاً في ذلك الوقت عن قضية المسلمين الأولى (القضية الفلسطينية) الكثير من أقطاب الكتابة الأحرار في العالم بصفة عامة وفي الوطن العربي خاصة، وعلى سبيل

¹ آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص:76.

المثال فقط ما قاله الأستاذ فائز الصائغ أستاذ الفلسفة بالجامعة الأمريكية ببيروت حين قرأ مقالا للشيخ بعنوان: [يا فلسطين]⁽¹⁾، فيما معناه: [إنه لم يكتب مثله من يوم جرت به الأقلام في قضية فلسطين]⁽²⁾.

لقد كان يرى الشيخ رحمه الله أن قضية فلسطين هي قضية محورية وهي الكفيلة بتوحيد الأمة فهل ستصدق نظرة الشيخ في يوم ما، وأنا أقول: نعم، لقد أصاب الشيخ فإنه يرى بنور الله تعالى وإنها لفراسة مسلم عالم، وبالنسبة للشعب الجزائري فكان يرى فيها أيضا بأنها الكفيلة بتوحيد الجهود الجزائرية من أفراد شعب وأحزاب سياسية (وربما هذا الذي حدث بعد هذا التاريخ بسنوات قليلة لما ذابت كل الأحزاب والهيئات في النواة الأولى التي حضرت لثورة التحرير المباركة)؛ ولذلك لم يدخر جهدا ولم يكن محتكرا للقضية الفلسطينية، بل كان يراها قضية لجميع الأحرار في العالم عامة وللجزائريين على وجه الخصوص، فقام رحمه الله بتقديم مكتبه الصغير المتواضع مقرا لأية هيئة تتقدم للقيام بهذا الواجب نحو فلسطين بقوله رحمه الله: "...وقد رمزت لهذا بتقديم مكنتي الصغير لأية هيئة تتقدم للقيام بهذا الواجب، وحكمة أخرى في عدم انفرادي بالعمل (مع قدرته وقدرة الجمعية على القيام بذلك منفردة)؛ وهي إنني كنت أترقب الفرصة المناسبة لأقوم بدعوة جديدة إلى توحيد الأحزاب والصفوف بعدما ضاعت جهودي القديمة، وأرجو أن يكون لي من قضية فلسطين عون

¹نشر بجريدة البصائر، العدد: 05، سنة: 1948م.

²آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص: 134.

على ما أريد، ولأنها قضية دينية قومية سياسية، ففيها من كل غرض جانباً وفيها لكل هوى جاذباً⁽¹⁾.

لقد كانت مشيئة الله تعالى أن تشكل فلسطين خط الدفاع الأول عن الإسلام وبلاد المسلمين، فكان جل أنبياء الله في محيطها يبعثون، وأتم الله لها قدسيتها بالإسلام فأسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ثم أخرج به من بيت المقدس إلى السماء بعد أن صلى بالأنبياء فيها (بيت المقدس) وفي ذلك يقول تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽²⁾، فهل كان اختيار الله عز وجل لمسرى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عبثاً، والجواب هو: كلا، فلم يكن اختيار الله عز وجل له سهلاً وعبثاً وحاشا أن يكون كذلك ولكنها المشيئة الإلهية والمنطوية على استراتيجية إلهية راسمها هو الله عز وجل منذ ما شاء وإلى الأبد، وعلى الأقل هكذا نعتقد⁽³⁾.

إن في سورة الإسراء السالفة الذكر (21) واحد وعشرون آية كانت كفيلاً بربط كل أفئدة أبناء الإسلام منذ ظهوره وإلى أن يشاء الله تعالى بحب هذه البقعة المباركة ألا وهي بيت المقدس ومن خلالها فلسطين فالرجال لا تشد إلا إلى ثلاثة مساجد كما جاء في الحديث النبوي الشريف: ﴿لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام والمسجد الأقصى⁽⁴⁾ ومسجدي هذا⁽⁵⁾﴾، وهذا ما

¹ آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص: 134 وما بعدها.

² الإسراء، آية: 01.

³ تاريخ مدينة القدس. معين احمد محمود. ص: 57.

⁴ سمي بالأقصى لبعده عن بيت الله الحرام، أنظر: ابن الجوزي. فضائل القدس. ص: 84.

⁵ سبق تخريجه.

فهمة ووعاه الشيخ الإبراهيمي فهو يهفو فؤاده ولا يتوقف قلمه ولا تخفى مشاعره اتجاه فلسطين.

لقد كانت القدس قبلة المسلمين الأولى⁽¹⁾ ولقيمة هذه البقعة المباركة من الأرض وقدسيتها جعل المسلمون الأوائل يفكرون عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في نقل جسده الشريف ودفنه بجانب المسجد الأقصى المبارك⁽²⁾.

قال الفرزدق⁽³⁾:

وبيتان بيت الله نحن ولاته **** * وبيت بأعالي إلیا مشرف.

هذه القيمة التي يتمتع بها هذا المكان المبارك كما سماه الله عز وجل بنصوص القرآن الكريم وبنصوص الحديث النبوي الشريف، فهما جيدا علماءنا ومنهم الشيخ الإبراهيمي، ومن هذه الأحاديث:

✚ عن عبد الله بن مالك الخثعمي عن كعب قال: ﴿إن الله عز وجل ينظر إلى بيت المقدس كل يوم مرتين﴾⁽⁴⁾.

✚ وعن مكحول (محدث من بلاد الشام من أصل خرساني) قال: ﴿من زار بيت المقدس شوقا إليه دخل الجنة، و زاره جميع الأنبياء، وغبطوه بمنزلته من الله عز وجل، وأيما رفقة خرجوا يريدون بيت المقدس شيعتهم عشرة آلاف من الملائكة يستغفرون لهم ويصلون عليهم ولهم مثل أعمالهم إذا انتهوا إلى بيت المقدس، ولهم بكل يوم يقيمون فيه صلاة سبعين ملكا، ومن

¹ وقد دامت قبلة للمسلمين ما بين 16 و17 شهرا قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة الشريفة، وهذا فيه دلالة للمسلمين، أنظر: ابن الجوزي. فضائل القدس. ص:90.

² تاريخ مدينة القدس. معين أحمد محمود. مرجع سابق، ص:58.

³ فضائل القدس. ابن الجوزي. ص:69.

⁴ فضائل القدس. ابن الجوزي. ص:84.

دخل بيت المقدس ظاهرا من الكبائر يلقاه بمائة رحمة ما منها رحمة إلا ولو قسمت على جميع الخلائق لوسعتهم، ومن صلى في بيت المقدس ركعتين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وكان له بكل شعرة في جسده حسنة، ومن صلى في بيت المقدس أربع ركعات مر على الصراط كالبرق وأعطى أمانا من الفرع الأكبر يوم القيامة، ومن صلى في بيت المقدس ست ركعات أعطي مائة دعوة مجابة أداها براءة من النار، ووجبت له الجنة، ومن صلى في بيت المقدس ثمانى ركعات كان رفيق إبراهيم خليل الرحمن، ومن صلى في بيت المقدس عشر ركعات كان رفيق داود وسليمان في الجنة، ومن استغفر للمؤمنين والمؤمنات في بيت المقدس ثلاث مرات كان له مثل حسناتهم، ودخل على كل مؤمن ومؤمنة من دعائه سبعون مغفرة وغفر له ذنوبه كلها⁽¹⁾.

✚ ولما سألت ميمونة بنت سعد رضي الله عنها الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيت المقدس، قال: ﴿نعم المسكن بيت المقدس، ومن صلى فيه صلاة بألف صلاة فيما سواه، قالت: فمن لم يطق ذلك، قال: فليهد له زيتا﴾⁽²⁾.

✚ وعن غالب بن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿لا يسمع أهل السماء من كلام بني آدم شيئا غير آذان مؤذن بيت المقدس﴾⁽³⁾.

إننا مع الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله نقف على حقائق عدة فيما يخص القضية الفلسطينية وعلى بعض التنبؤات لمستقبل هذه القضية انطلاقا

¹فضائل القدس. ابن الجوزي. ص: 85 وما بعدها.

²فضائل القدس. ابن الجوزي. ص: 90، وفي رواية، قالت: "أرأيت لمن لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه، قال: فليهد إليه زيتا يسرج فيه، فإن من أهدى له كمن صلى فيه" أنظر: ابن حجر. الإصابة في حياة الصحابة. ج: 8، ص: 193.

³فضائل القدس. ابن الجوزي. ص: 90.

من فهم عقلية المستعمر فنجد في نداء موجه للشعب الجزائري العربي المسلم كما يسميه رحمه الله يقول: [في هذه الظروف الدقيقة التي تجتازها فلسطين العربية وفي هذا الصراع العنيف الذي حمل عليه إخوانك العرب حملا وأجنوا إليه إلباء لا خيار فيه، وفي هذه الحرب المستعرة التي يوشك أن تضيق بها الرقعة فيتطاير شررها إلى جوانب العالم فترقه أو تغرقه... نحن نعتقد أن ميدان القتال بين العرب وبين اليهود هو فلسطين، أما الجزائر وغيرها من بقية أقطار العروبة فهي ميادين شعور وعطف وأخوة وتضامن يشعر فيها العربي بمحنة أخيه في فلسطين]⁽¹⁾، وهذا مستوى متقدم من تحليل للقضية الفلسطينية، وأما ما قاله الشيخ في ذلك الوقت قد أصبح أمرا واقعا في وقتنا الحالي فلا تسوية في الشرق الأوسط كما يسمى اليوم إلا بالمرور على القضية الفلسطينية، وبهذا يكون قد وضعنا أمام حقائق تخص القضية ولكن متى؟ من الوهلة الأولى التي استعمرت فيها فلسطين.

وها هو يعرج على الحقائق التي لا نريد ذكرها أحيانا، فهو رحمه الله يعطي الحق لليهود في التعاطف الذي أبدوه اتجاه إخوانهم اليهود في فلسطين ويرى بأن مؤازرتهم لهم شيء طبيعي ومنطقي تقتضيه الأخوة الدينية لليهود فيما بينهم فيقول: [... وكما أننا لا نلوم يهود العالم على إظهار عواطفهم نحو إخوانهم في فلسطين، فإننا لا نقبل اللوم من أي شخص أو من حكومة على إظهار عواطفنا نحو إخواننا عرب فلسطين، ولا التحجير علينا فيما نستطيع

¹البصائر. العدد40، السنة الأولى، من السلسلة الثانية، 21 جوان 1948م، أنظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص:204.

إعانتهم به، ولا نرضى أن يكون حراما علينا ما هو حلالا لليهود، ومن أنصفنا أنصفناه وزدنا⁽¹⁾.

إن البعض ممن عاصروا الشيخ وعن قرب يرون أن أفضل ما كتبه الشيخ الإبراهيمي في حياته إنما كان مما كتبه عن القضية الفلسطينية، فما هو الشيخ عبد الرحمن شيبان رحمه الله أحد رؤساء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ يقول عنه في إحدى كتاباته معددا لصفاته وخصائص أدبه: [...] ومن الأنماط التي تكاد تجمع هذه الأساليب كلها (أساليب الكتابة لدى الشيخ الإبراهيمي) رقة وجزالة، وقربا وسموا وسطحية وعمقا، هذه الفقرة عن قضية فلسطين التي تهم العرب والمسلمين كلهم على اختلاف مداركهم واهتماماتهم، من أول نكبتها إلى اليوم، وذلك إذ يقول كأنه يخاطبهم في ساعتنا الحاضرة: (أيها العرب، إن قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائركم وهممكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم، وليست تتال بالشعريات والخطابيات، وإنما تتال بالتصميم والحزم والاتحاد والقوة... إن الصهيونية وأنصارها مصممون، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى منه، وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتن منه) انتهى كلام الشيخ شيبان⁽²⁾.

إننا نبكي على فلسطين ونحسن البكاء أحيانا والشكوى ونتهم اليهود بأخذ فلسطين واغتصابها منا اغتصابا وهذا في نظر الشيخ البشير الإبراهيمي (وفي إطار تشخيصه للقضية الفلسطينية دائما) تزوير للحقائق فنجده يقول في

¹ البصائر. العدد 40، السنة الأولى، من السلسلة الثانية، 21 جوان 1948م، انظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص: 205.

² من مقدمة آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص: 10.

هذا المعنى رحمه الله: [من التزوير على التاريخ أن يقال إن اليهود احتلوا فلسطين بالقوة العسكرية كما يحتل القوي الغالب أرض الضعيف المغلوب، إلا أن كلمة الحق التي يقف الواقع بجانبها شاهدا لا يكذب هي أن ملوك العرب وزعمائهم المتحكمين في مصائرهم المنفذين لإرادة المستعمر هم الذين سلموا فلسطين لليهود صائغة هنية وحققوا للإنجليز غايتهم]⁽¹⁾.

ولكن الأمل كان دائما حاضرا لدى الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله فوجدناه في إحدى جلساته بالعراق الشقيق والتي كانت قد دعت إليها جمعية الأخوة الإسلامية بالعراق وعند استلامه للكلمة فبعد أن حمد الله وأثنى عليه وقدم التحية للحضور قال رحمه الله: [إن معرفة كارثة فلسطين لا تعدوان تكون أسئلة وأجوبة فإن استطعنا معرفة الأجوبة استطعنا معرفة الداء ثم نعالجه].

أما السؤال الأول فهو: هل أضعنا فلسطين؟

الجواب: نعم.

السؤال الثاني هو: هل أعطيناها أم أخذوها منا؟

الجواب: أعطيناها نحن.

السؤال الثالث هو: هل يمكن استرجاعها؟

الجواب: يمكن استرجاعها.

السؤال الرابع هو: بماذا أضعنا فلسطين؟

الجواب: أضعناها بالكلام.

فقد كان الشعراء ينظمون القصائد الطويلة العريضة في مديح العرب وتسفيل اليهود، والكتاب يكتبون والسياسة يصرحون، فبين النظم والتصريح والكتابة

¹ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص:398.

والخطابة ضاعت فلسطين... ثم قال رحمه الله: الرجل البطل يعمل كثيرا ولا يقول شيئا⁽¹⁾.

يكاد الإجماع ينطبق من طرف تلامذة الشيخ الإبراهيمي ورفاقه بأن القضية الفلسطينية كانت إحدى نقاط مشروعه النهضوي الحضاري الذي كان يعمل له، وقد ظهر هذا جليا في عيون البصائر والتي جاء بها زخم كبير من أفكاره وتوجهاته، من جهاد في سبيل الإسلام والعروبة في جزائر كانت راضخة تحت نير الاستعمار الفرنسي وبما فيها من مقارعة سياسية ودينية للاستعمار وأذنايه وبما فيها مناصرة كل قضايا الإنسانية العادلة بصفة عامة ولقضايا الأمة الإسلامية بصفة خاصة والتي على رأسها القضية الفلسطينية⁽²⁾.

وربما سبب اهتمامه هذا هو رحلته الطويلة مشرقا ومغربا واطلاعه على أحوال المسلمين، سواء في المشرق أم في المغرب العربيين، من السعودية إلى مصر إلى سوريا إلى العراق إلى المغرب ولقائه بالعلماء والمفكرين في هذه الأمصار والديار، وبذلك يعد الإبراهيمي فلتة من فلتات الزمان كما كان يردد الشيخ العربي التبسي رحمه الله تعالى في الكثير من مجالسه حين كان يقول: "إن الإبراهيمي فلتة من فلتات الزمان، وإن العظمة أصل في طبعه"⁽³⁾، لقد كان شعره بسيطا يتمثل في كلمات ثلاث هي: الإسلام . العروبة . الجزائر.

¹ مجلة الأخوة الإسلامية، السنة الثانية، العدد الرابع، بغداد في 30 جمادى الأولى 1373 هـ الموافق ليوم 05 فيفري 1954م، نقلا عن: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص:282.

² آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص:13.

³ آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص:16.